احفظ الله يحفظك

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميت من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرِّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً.....

أما بعد أيها المسلمون:

من يتق الله يُحمدُ في عواقبه ∴ ويكفيه شرَّ من عُـزوا وهانوا
من استجار بغير الله في فزع ∴ فـإنَّ ناصره عجزاً وخـذلاً نوا
فالزم يديك بحبل الله معتصماً ∴ فإنه الركن إن خانتك أركانوا

صح عنه عليه الصلاة والسلام ، عند الترمذي وأحمد ، أنه قال لابن عمه ، حبر الأمة ، عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (**يا غلام ، إني أعلّمك كلمات، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف إلى الله في الرخاء ؛ يعرفك في الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلّا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا**

على أن يضروك بشيء لم يضروك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفّت الصحف) وزاد أحمد في المسند (واعلم أن الفرج مع الكرب ، وأن النصر مع الصبر ، وأن مع العُسر يُسر) هذا الحديث صحيح ، هذا الحديث الذي أدهش العلماء ، وحيّر الفقهاء ، وأنِسَ به الخائفين والمفزوعين ، بل هو أعظم وصيّة للأولين والآخرين ، ولذلك يقول أحد الصالحين: إذا أردت أن توصي حبيبك أو صديقك أو ابنك ، فقل له: احفظ الله يحفظك، وأنا أوصي إخواني المسلمين بهذا الحديث ، أن يقرؤه ويحفظوه ويدرسوه ، احفظ الله يحفظك ، هذه الوصيّة النبوية تُوَجَهُ لكل صنف من الناس، تُوَجَهُ للمسافر إذا أراد أن يسافر ، فقل له: احفظ الله يحفظك ، وتُوَجَهُ للتاجر الذي يخشى على تجارته من الهلاك ، احفظ الله يحفظ لك تجارتك ، وينمّيها لك ، ونقولها للملوك والأمراء والوزراء ، وللأطباء والمهندسين، وللتجار والفلاحين ، وللرجال والنساء ، احفظ الله يحفظك﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ قالها يعقوب لمّا ضاع منه يوسف ، وتذكّر أن الذئآب سوف تأكل يوسف ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

قال بعض العلماء: ضاع يوسف من أبيه أربعين سنة ، فحفظه الله ، وردّه إليه بعد أربعين سنه ، ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[يوسف: ٦٤] الله يحفظك في كل مكان ، يحفظك وأنت في بطن أمك ، ويحفظك صغيراً وكبيراً ، ويحفظك في الجو والبر والبحر ، أتى المحبّ الطّبري ، أحد علماء الإسلام إلى سفينة ، فركبها ، فلمّا أراد أن يبلغ إلى الشاطئ ، وهو في السبعين من عمره ، قفز من على ظهر السفينة ، فأراد الشباب والفتيان أن يقفزوا مثله ، فما استطاعوا ، فقالوا: يا إمام ، كيف استطعت وأنت شيخ كبير ، قال: هذه أعضاء حفظناها في الصغر ، فحفظها الله علينا في الكبر ﴿ فَٱللَّهُ

خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[يوسف: ٦٤] الله يحفظك في سمعك وفي بصرك وفي قوتك.، كما جاء في الحديث القدسي ، أن الله جل وعلا يقول: (ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل ، حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه) الله عز وجل ، قد يسخّرُ لحفظك جنوداً من جنوده.، فمثلاً هذا البحر الهائج ، الذي يحتوي سمكاً وحوتاً ، وأمواجاً مخيفة ، قد يجعله الله لك حفظاً ، وناصراً ومعيناً .

روى الإمام البخاري في صحيحه ، أن رجلاً إسرائيلياً من بني إسرائيل، استلف ألف دينار من إسرائيلي آخر، لا يعرفه ، فقال ذلك الآخر: من يكفلك عندي، أنا لا أعرفك، قال: الله يكفلني، وهو حسبي، فقال الرجل: رضيت بالله نعم المولى ونعم النصير ، ولهذا يقول النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ∴ وليس وراء الله للمرء مذهب

لأن بلّغ الواشون عني وشاية ∴ لمبلّغكَ الواشي أغشى وأكذب

يقول: حلفت لك بالله ، فتريد وراء الله قَسَمْ ، قال الرجل: من يكفلك عندي ، قال: الله الواحد الأحد ، قال: من يشهد لك ، قال: يشهد لي الله ، قال: رضيت بالله شهيداً وكفيلاً ، ثم كتبوا بينهما صكّاً إلى أجل ، وأعطاه ألف دينار ، وذهب المقترض ، وهو لا يدري أين ذهب ، ولا يعرف مكانه ولا منزله ، ولمّا أتى وقت السداد ، وحان الأجل ، أراد المقترض أن يركب البحر ، ليوصل هذا الدَّيْن إلى صاحبه ، فإذا أمواج البحر تتعالى ، وإذا الهول أمامه ، وما وجد سفينة ولا قارباً ، يرسل هذا الدين معه ، فدمعت

عيناه، وقال: يا رب، طلب مني كفيلاً، فرضي بك، وطلب شاهداً فرضي بك، اللهم ادفع له هذا المال، وأخذ خشبة فنقرها، ثم كتب رسالة ووضع فيها ألف دينار، ثم أرسل ذلك الناقور في البحر، وفي نفس الميعاد، خرج ذلك الرجل الأول، صاحب المال، ينتظر صاحبه في الموعد المحدد، بينما انتظر كثيراً، لكن صاحبه لم يأتِ، وما قدمت سفينة ولا قارب، وإذا بالبحر يرمي عليه خشبة، فقال في نفسه: لا أفوّت سفري وانتظاري على الشاطئ، فسآخذ هذه الخشبة حطباً لأهلي، ثم ذهب وكسر الخشبة، فوجد فيها ما لم يكن يتوقعه، وجد الرسالة ومعها ألف دينار ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ [يوسف: ٦٤] احفظ الله يحفظك.

خرج عقبة بن نافع قائد المسلمين، ليفتح شمال إفريقيا، فلمّا وصل إلى هناك ودخل غابة إفريقيا الموحشة، اعترضته الوحوش والأسود والحيّات والعقارب، فصلى ركعتين، ثم صعد على جبل وسط الغابة، وقال: أيتها الوحوش، أيتها الأسود، أيتها السباع، أيتها الحيات، أيتها العقارب، نحن أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام، جئنا نفتح الدنيا بلا إله إلّا الله، فادخلي إلى جُحُورك ولا تؤذينا، فدخلت إلى جُحُورها، لذلك يقول محمد إقبال:

بمعابد الأفرنج كان آذاننا ∴ قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لن تنسى إفريقيا ولا صحراؤها ∴ سجداتنا والأرض تقذف نارا
كنا للسيوف نقدم روؤسنا ∴ لم نخشى يوماً غاشماً جبارا

خالد بن الوليد أبو سليمان رضي الله عنه إلتقى بالروم في معركة حامية الوطيس،

كان يظن خالد أن عدد الروم يبلغ خمسين أو ستين ألفًا ، وإذا به يفاجأ، أن عددهم مائتين وثمانين ألفًا ، وفي الصباح الباكر مع طلوع الشمس، أقبلت كتائب الروم تتهدّر،حتى ملئت الجبال والأودية والسهول، في هذا الموقف العصيب ، إلى من يلتجئُ خالد ، يلتجئُ إلى هيئة الأمم، أو إلى مجلس الأمن ، كلا ، إنما يلتجئُ إلى الله الواحد الأحد ، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال :١٧] التفّ حوله القوّاد، يَرَوْنَ ماذا يفعل خالد ، لكن خالد كتب رسالة إلى شيخ بوادي السماوه، وهو عربي مسلم اسمه عياض ابن غنم ، ولذلك تقول العرب: أقصر كتاب في التاريخ كتاب خالد إلى عياض بن غنم ، لأن خالداً ما كان عنده وقت للكتابة ، فأخذ رسالة قصيرة ، وكتب فيها إلى شيخ قبائل العرب: بسم الله الرحمن الرحيم، من خالد بن الوليد إلى عياض بن غنم ، إيّاك أريد ، أدركنا ، وتمهّل خالد ، ولم يدخل مع الروم في حرب غير متكافئة، حتى يصل جواب الرسالة ، فلما وصلت الرسالة إلى عياض بن غنم ، وقرأ ما فيها، بكى وأخذ يَحشد من قبائل العرب ، فما أتى الليلة الثانية إلا وقد جمعوا لخالد حشودًا كبيرةً، ولكن هيهات ، قبائل الروم مئتان وثمانون ألفاً ، جيش عرمرم متدربون وقادة ، جاء أحد المسلمين إلى خالد وقال: يا خالد، ما أكثر الروم ، وما أقلّنا ، اليوم نفر إلى جبل سلمى وآجا، فدمعت عينا خالد ، وقال: كلا ، بل نفر إلى الله الملتجأ ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف:٦٤] ثم جرّد السيوف ، وبدأ النزال ، وما أتى ثلاثة أيام ، إلّا وسحقهم سحقاً ، وتركهم في كربة شديدة ، لا يعلمها إلّا الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[الأنفال:١٧] احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، رَوَى ابن كثير وأبو نعيم ، أن صلة بن أشيم كان من عبّاد الليل ، يقوم من صلاة العشاء إلى صلاة الفجر ، وهو في صلاة ومناجاة:

قلت لليلٍ هل بجوفك سرٌّ عامر بالحديث والأسرار ** قال لم ألقى في حياتي حديثاً كحديث الأحباب في الأسحار ، خرج صلة بن أشيم يغزو مع قتيبة بن مسلم في خراسان ، قريباً من كابول ، التي ضيعناها يوم أن ضيعنا لا إله إلّا الله ، وكان صلة إذا نام الجيش ، يدخل غابة ويصلي فيها ويبكي بين يدي الله ، وبينما هو يصلي ، إذ يأتيه الأسد ، وأنتم تعرفون من هو الأسد ، حيدرة ، الليث ، الذي سمّته العرب ملك الحيوانات، له تسعة وتسعون اسماً ، إذا زَئَرَ الأسد في وادٍ ، فإن العرب ينتقلون ويرتحلون منه، وهم من أشجع الناس ، لكن صلة بن أشيم خرج عليه الأسد وهو يصلي في الغابة ، فما تحرك من مكانه ولا تحول ، واستمر في صلاته حتى سلّمَ ، ثم التفت إلى الأسد وقال: يا حيدرة ، يا ليث ، إن كنت أُمرت بأكلي فكلني ، فإنه ليس معي سلاح إلّا حماية الله ، وإن كنت ما أُمرت بقتلي ، فاذهب واتركني أصلي ، الله أكبر ، احفظ الله يحفظك ، عند ذلك قام الأسد ، ولَوَىَ ذنبه ، ثم ولىّ ، حتى دخل في جحره ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف:٦٤] فنحن يوم أن كنا صادقين بلا إله إلّا الله ، سخّر الله لنا الأسود والوحوش والحيّات ، ويوم أن ضيعنا حفظ الله ، سلّط علينا الفئران والحشرات ، لذلك يقول أحد الأدباء المسلمين ، لمّا رأى إسرائيل هاجمت بلاد العرب ، وأخذت بيت المقدس ، يقول:

أيا عمر الفاروق هل لك عودة ∴ فإن جيوش الروم تنهى وتأمر
رفاق صلاح الدين في الأغوار شدّوا ∴ سروجهم وجيشك في حطين صلوا وكبروا
نساء فلسطين تتحنى بالأسى ∴ وفي بيت لحم قاصرات وقصّروا

يوم أتى عمر الفاروق رضي الله عنه ليفتح بيت المقدس التي ضيعناها يوم أن

ضيعنا الله ، قال عمر لخادمه: إركب أنت ساعة وأنا أركب ساعة ، قال: يا أمير المؤمنين ، كيف نواجه الناس وأنت تقود الجمل ، قال: لا أم لك، مَنْ أنا، كنت أسمى في الجاهلية عمير ، اركب ساعة وأنا ساعة ، فلمّا أشرف عمر رضي الله عنه على جيوشه وقوّاده في الشام، منهم عمرو بن العاص، وشرحبيل ابن حسنة رضي الله عنه وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، ويزيد ومعاوية ، إبنا أبي سفيان ، تقدّم إليه عمرو بن العاص وقال: أخجلتنا يا أمير المؤمنين، كيف ستقابل ملك الروم ، وأنت تقود الجمل ، وتلبس هذه الثياب المرقعة، فقال: ويحك يا عمرو ، نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله ، ولهذا فلن تجدوا العزة من أعداءكم ، ولن تجدوها في الأمم المتحدة ، أو مجلس الأمن ، لا تخافوا من أمريكا اليهودية ، وأعوانها اليهود ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[يوسف:٦٤] .

ومن حفظ الله لك أيها المسلم أن يحفظك من الظالمين والجبارين والمتكبرين، دخل المهدي الخليفة العباس مسجد الرسول ﷺ، وفي المسجد أكثر من خمسمائة من طلبة الحديث وفيهم ابن أبي ذئب، أحد العلماء المحدثين ، من رواة البخاري ومسلم ، فقام الناس جميعاً للخليفة إلّا ابن أبي ذئب ، فقال المهدي الخليفة: يا ابن أبي ذئب ، قام الناس لي جميعاً إلّا أنت ما قمت لي، قال: والله الذي لا إله إلا هو، لقد أردت أن أقوم لك،فلمّا تهيئت للقيام تذكرت قوله تعالى ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [المطففين:٦] فتركت هذا القيام لذاك اليوم ، فهزّ رأسه وسكت، ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف:٦٤] وروى ابن كثير ، والذهبي وغيرهما، أن عبد الله بن علي العباس كان ملكاً جبارا ، لا يبتسم أبداً ، حرسه ما يقارب ثلاثين ألفًا ، دخل دمشق بخيوله وبغاله في المسجد الأموي، وقتل

في ساعة واحدة ، أكثر من ستة وثلاثين ألف من المسلمين، ثم قال للناس: هل ترون أحداً يعارضني فيما فعلت ، قالوا: لا أحد ، وإن كان ولا بد ، فالأوزاعي ، والأوزاعي أمير المؤمنين في الحديث زاهد عابد، قال: ائتوني به ، فذهب الجنود يأتونه به ، فلمّا علم بذلك الأوزاعي ، قال: حسبنا الله ونعم الوكيل ، انتظروني قليلاً ، ثم ذهب واغتسل ولبس أكفانه تحت الثياب ، لأنه يعلم أن المسألة موت أو حياة ، قتل ودم ، ثم دخل على هذا السلطان المتكبر ، وهو على سريره ، وبيده خيزران ، وقد انعقد في جبينه عقدة من الغضب ، يقول الأوزاعي -رحمه الله- : والله الذي لا إله إلّا هو ، لقد رأيته أمامي كأنه ذباب ، ثم جلس والسيّاف عند رأسه، وقال: يا أوزاعي ، ما رأيك في الدماء التي أرقناها؟ قال الأوزاعي: حدثنا فلان، حدثنا فلان ، حدثنا فلان ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (**لا يحل دم إمرء مسلم إلّا بإحدى ثلاث ، الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة**) فإن كان الذي قتلتهم من هؤلاء ، فقد أصبت، وإن لم يكونوا من هؤلاء ، فدماؤهم في عنقك ، عند ذلك أخرص قليلاً، ونكسَّ بالخيزران ، ثم قال: وما رأيك في الأموال التي أخذناها؟ قال الأوزاعي: إن كانت حلال فحساب ، وإن كانت حرام فعقاب ، فسكت مليّاً ، ثم قال: خذ هذه البدرة ، كيس مملوءٌ من الذهب ، لكن الأوزاعي أبى أن يأخذ الكيس ، وقال: لا أريد المال ، فغمزه أحد الوزراء ، أن يأخذ الكيس ولا يُغضب الأمير ، فأخذ الكيس ووزعه على الجنود ، ثم رمى به وخرج، ولمّا خَرَجَ قال: حسبنا الله ونعم الوكيل ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف:٦٤] أما الحجاج بن يوسف الثقفي ، الذي تقول فيه ليلى الأخيليّة:

حجاج أنت الذي ما فوقه أحد ∴ إلّا الخليفة والمستغفر الصمد

تقول: أنت يا حجاج ، ما فوقك إلّا الله ، ثم الخليفة ، كان الحجاج ، سفّاح سفّاك ، يتلذذ بقتل الناس ، حتى أنه قال عن نفسه: رأيت في المنام أن الله عذّبني بكل نفس قتلتها ، مرة واحدة ، إلّا سعيد بن جبير ، قتلني به سبعين مرة ، أتى الحسن البصري والناس مجتمعون عند قصر الحجاج، يطلبون منه أعطيات ، فوبّخهم وقبّحهم ، ثم سبّ الحجاج ، وقال: هذا الغشوم الظلوم ، يبطش بطش الجبارين ، ويلبس لباس الفسقة ، ثم يقرأ القرآن على لخم وجذام ، ويعظ وعظ الأبرار ، ثم استمر يذكر معايب الحجاج ، حتى خشي عليه أحد السامعين ، فقال: حسبك يا أبا سعيد ، حسبك ، فقال: لا ، لقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم ، ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، فغضب الحجاج غضباً شديداً ، وقال: إليَّ به ، والله لأقتلنه هذا اليوم ، ولما ذهب إليه ، رفع يده إلى السماء ، وقال: اللهم اجعل غضب الحجاج عليَّ برداً وسلاماً ، كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، ولّما دخل عليه ، قذف الله الرعب في قلب الحجاج ، واستقبله استقبالاً طيباً ، وأكرمه وأجلسه على سريره ، ثم طيّب لحيته وانصرف من عنده ، بحفظ الله ورعايته ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف: ٦٤] وبعدها توفي الحسن البصري رحمه الله، فكان الحجاج ، إذا مرّ على قبره، يقول: والله لم أكن أخشى أحداً في هذه الحياة ، إلّا صاحب القبر هذا ، أي الحسن البصري ، ومع هذا لم يكتفِ الحجاج بتذكير العلماء والدعاة ، بل استمرّ في غيّهِ وظلمه للناس ، وامتهانة لحقوقهم وأعراضهم ، يَرْوِي لنا طاووس بن كيسان قصة رجل فقير ، زاهد عابد من أهل اليمن ،

ذهب يحج إلى بيت الله الحرام ، وشاءت إرادة الله ، أن يدخل الحجاج بجنوده وخدمه وحشمه إلى الحرم ، وهذا الرجل اليمني الزاهد العابد ، ما يزال يطوف حول البيت ، وفي أثناء ذلك والناس مشغولون بالطواف، تعلّقت حربة من الحراب التي يحملها جُنْدُ الحجاج بثوب ذلك الرجل الأعرابي اليمني ، فوقعت الحربة على الحجاج فأمسكه الحجاج ، وقال له: من أنت؟ قال: مسلم ، قال: من أين أتيت؟ قال: من اليمن ، وكان أخوه محمد بن يوسف الثقفي ، يحكم في اليمن ، وكان ظلوماً غشوماً مثل أخيه الحجاج ، فقال لذلك الرجل اليمني: كيف تركت أخي عندكم ، قال: تركته سميناً بطيناً يأكل كثيراً ، قال: ما أسألك عن صحته ، أسألك عن عدله ، قال: تركته غشوماً ظلوماً ، لا يرقب في مؤمن إلّا ولا ذمة ، قال: أما تدري أنه أخي ، قال: ومن أنت؟ ، قال: أنا الحجاج ، قال: أتظن أنه يعتزّ بك أكثر من اعتزازه بالله ، هذا الجواب في قاموس الحجاج ، جريمة لا تغتفر ، لكن الله سلّم ذلك الرجل ، وأفلته الحجـــاج دون عقاب ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾[المائدة:٢٣] ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف :٦٤] ،لا تخشى على نفسك، ولا على أولادك من بعدك ، ما دمت حافظاً لله ، الله يحفظك في نفسك وفي أولادك ، عمر بن عبد العزيز ، الخليفة الراشد ، حضرته الوفاة ، وله أطفال كثير ، قيل: سبعة ، وقيل مع البنات: أربعة عشر ، تُوفِّي عنهم وليس عندهم شيء من المال ، ولما حضرته الوفاة جمعهم ، فدمعت عيناه ، وقال: يا أبنائي، ما خلّفت لكم مالاً ، ولا جاهاً، وإنما خلّفت لكم الله الواحد الأحد ، فإن كنتم طائعين ، فسوف يحفظكم الله ، وإن كنتم عصاة ، فما تركت لكم ما تستعينون به على المعصية ، ثم تركهم ومات ، وليس عندهم شيء من

متاع الدنيا ، لكن الله جل وعلا ، حفظ أبنائه من بعده ، حتى قال العلماء: كان أبناؤه من أغنى الأغنياء في الناس ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[يوسف:٦٤] أما القاهر الخليفة العباسي ، فقد اكتنز لأولاده مالاً كثيرًا ، وحفر بركاً وخزانات في الأرض ، مَلَئَهَا بالذهب والفضة ، ثم قال لأولاده: يَا أولادي لا تخشوا الفقر ، فقد ملئت لكم هذه الخزانات مالاً، لو وُزّع على أهل بغداد لكفتهم ، لكنه ضيّع الله فضيعه الله ، وأخذَ من خلافته وصُودرتْ أملاكه لمن بعده ، وسملت عيناه في الحديد الحار، حتى صار أعمى ، وأصبح يقف في المسجد الكبير في بغداد ، ويقول: من مال الله ، يا عباد الله ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله ، انظروا إليه يوم أن ضيّع الله ، كيف ضيعه الله.

عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاة ، كان يقول: يا ليتني ما عرفت الخلافة ، يا ليتني ما عرفت الملك ، يا ليت أمي لم تلدني ، احفظ الله يحفظك ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف:٦٤] ومن الشعراء من حفظ الله ، فحفظه الله ، منهم حسان بن ثابت رضي الله عنه ، الذي كان يحفظ الله في شعره وفي أدبه كان يمدح الدعوة ، ويمدح رسول الدعوة ، محمد ﷺ ، حتى أنه في بيت من قصائده ، يسبّ مشركي قريش ، فيقول:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها ∴ فليغلبنّ مغلبّ الغلاّب

وسخينة: يعني بها قريش ، فقد كانت العرب تسبّ قريش بالسخينة ، وهي نوع من أنواع الطعام ، كانت قريش تحبها ، فقال ﷺ لحسان ، وهو يبتسم (لقد شكر الله لك بيتك يا حسان) لذلك قال الزهريّ: أفخر بيت قالته العرب ، قول حسان:

وبيوم بدر إذ يصدُّ وجوههم ∴ جبريل تحت لوائنا ومحمدُ

يقول: تحت قيادتنا المسلحة ، جبريل ، فيكف نغلب اليوم ، فهو قائد الشعراء إلى الجنة ، لأنه حفظ الله في لسانه وفي أدبه ، ومنهم ابن رواحة أتى رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله:

ثبّتَ الله ما آتاك من حسنٍ ∴ تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

فتبسم -عليه الصلاة والسلام - وهناك في المقابل من ضيّع الله على ذكر الأدب ، منهم امرء القيس ، ضيّع شبابه في المعصية ، ما عرف إلّا النساء والخمر ، فضيعه الله ، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام (قائد الشعراء إلى النار ، امرء القيس) ومعه ابن هاني الأندلسي ، أحد الشعراء الفجرة ، دخل على خليفة من الخلفاء ، وأخذ يمدحه ، ويقول:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ∴ فاحكم فأنت الواحد القهار

فعلمه الله من هو الواحد القهار ، فكان يعوي على فراشه كما يعوي الكلب ، ويقول: أنت الواحد القهار ، وأخذ يبكي ويقول:

أبعين مفتقر إليك نظرت لي ∴ فأهنتني وقذفتني

لست الملوم أنا الملوم لأنني ∴ علّقت آمالي بغير الخالق

وهذا القروي ، أحد الشعراء المعاصرين المنحرفين ، الذين ضيّعوا الله ، فضيعهم الله ، نزل إلى دمشق وقال:

هبوا لي ديناً يجعل العربَ أمة ∴ وسيروا بجثماني على دين برهم

ثم يقول :

أيا مرحباً كفراً يؤلف بيننا ∴ وأهلاً وسهلاً بعده بجهنَّم

فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، ومات في الحمام ، في دورة المياه أعزكم الله، وما عُلِمَ به إلّا بعد ثلاثة أيام ، وقد أصبح جيفة قذرة ، فمن ضيّع الله ضيّعه الله .

البرامكة في عهد هارون الرشيد ، كانوا وزراء ومقربين لديه ، وكانوا يعيشون حياة مَلِيئَةً بالفجور ، فُحش وغناء ، وخمر ومجون ، ضيّعوا أوامر الله ، فسلّط عليهم أحب الناس إليهم ، هارون الرشيد ، أخذهم في غداة واحدة ، وقتل شبابهم ، وأخذ نساءهم وأطفالهم ، وجعلهم في مستعمرات تحت الأرض ، وبقي أبوهم الشيخ الكبير في السجن ، سبع سنين ، حتى طالت أظافره ، فما وجد مقراضاً يقلّم أظافره ، وقد سئل أحدهم ، يسمّى ابن خالد البرمكي ، ما الذي أنزلكم هذه المنزلة ، بعد النعيم والثريد ، بعد الذهب والحرير ، قال وهو يبكي: دعوة مظلوم سرت في ظلام الليل ، غفلنا عنها وما غفل الله عنها ، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام (واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ، يرفعها الله فوق الغمام ، ثم يقول لها وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين) .

كذلك من حفظ الله أن يحفظ الإنسان لسانه من حديث السوء ، لذلك يقول -عليه الصلاة والسلام- لمعاذ وقد أخذ بلسانه:(كف عليك هذا، قال: وإنا لمؤآخذون بما نتكلم به يا رسول الله؟، قال: ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يُكبّ الناس في النار على مناخرهم أو على وجوههم ، إلّا حصائد ألسنتهم).